اوابد الشهور

Les Superstitions attachées aux Mois.

الصوم الخرساني (١)

يصوم اكثر العراقيات آخر سبت من شهر رجب ، ويسمى هـذا اليوم «الصوم الخرساني» او «صوم مريم» وتصومه عادة كل امرأة ذات بنين أو بنات وتنقطع فيه عن الكلام فلا تنبس ببنت شفة كل ذلك اليوم . وتصومه ايضا من تطلب (مرادا) وعند المساء تقعد الصائمة على حافة البئر في بيتها موجهة وجهها شطر (القبلة) ثم توقد الشموع ، وتفطر باللبن والسيلان وتقول ثلاث مرات: « فطرنا على اللبن والسيلان يعطينا الله مرادنا مثلما اعطى مريم بنت عمران».

رمضان

هو من اعظم الشهور عند المسلمين كافة وفيه نزل القرآن « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » (الآية) وصيامه فرض على كل مسلم ومسلمة . وهو شهر التعبد والطاعة . وقد اعتاد اكثر المسلمين ان يتصدقوا على الفقراء في كل ليلة جمعة منه لارواح اموتهم .

وليلة النصف منه تسمى عند اعراب (المعدان) (الخوارة) فيطبخ كل شخص طعاما ويتصدق به عند المساء عن الاموات .

ليلة القدر

الليلة الثالثة والعشرون عند الخاصة هي ليلة القدر وعند العامة هي الليلة السابعة والعشرون وفي هاتين الليلتين يتصدق المسلمون على الفقراء ويتعبدون ويصلون والزاهدون المتعبدون منهم يسهرون في تلك الليلة والعامة تعتقد ان السماء تفتح في ليلة القدر وان الدعاء مستجاب فيها . كما انها تعتقد بان الشياطين يحبسون فيها .

عيد الفطر

ويسميه العوام عيد الصغير (بضم الصاد وفتح الغين وتشديد الياء المكسورة)

(١) فاتنا ان نذكر هذه الآبدة في شهر رجب وتلفظ الخرساني بفتح الخاء واسكان الراء وفتح السين يليها الف ثم نون فياء مشددة ويراد به الاخرس في لغة العوام (الكاتب)

وفي صباح العيد يقصد الخاصة المزارات لاداء صلاة العيد فيها . و (المعدان) يقصدون النهر للنظر فيه معتقدين ان « خضر الياس (١) » يمر امامهم .

وبعد صلوة العيد تقصد الخاصة والعامة قبور امواتهم فيتصدقون هناك عند القبور على الفقراء ويعطون درهما او اكثر لاناس مخصوصين لقراءة سورة (يس) على قبور امواتهم .

دورة السنة

هو يوم « النوروز » وكلمة « نوروز » فارسية معناها اليوم الجديد وهو رأس السنة الجديدة عند الفرس . ومن اعظم اعيادهم . ويرتقي تأريخه الى آلاف من السنين فيحتفلون به الفرس احتفالا شائقا ويقيمون فيه الافراح والمهرجانات واخبار هذا اليوم مشهورة ومدونة في كتب المؤرخين . اما العرب فقد اخذوه عن الفرس . والعوام يسمونه « دورة السنة » والقراتيين يعدونه من الاعياد فيتزينون فيه نساء ورجالا ويصافح احدهم الاخر مباركا له بحلول هذا اليوم واعتقادهم فيه غريب جدا ويعد من الاساطير المهمة :

يعتقد العوام على الاطلاق بان ارضنا مسطحة وليست كروية وانها تنتهي بجبل عظيم يسمونه « جبـــل قاف » ! وبحر اعظم يسمونه « بحر الظلمات » ! والارض يحملها ثور كبير على قرنه وان هذا الثور واقف على ظهر حوت كبير . واذا مر اثنا عشر شهرا . وهو تمام السنة ، حول الثور الارض من قرن الى آخر ؛ وعندما يحول الارض يعتقد العوام ان احد الحيوانات تمر امام الثور اثناء التحويل فعندئذ يقولون دارت سنتنا على كلب أو قرد أو غير ذلك وهـــذه الاضحوكة يشيعها المشعوذون المنجمون واصحاب « الفال » في ذلك اليوم . ومن معتقدات العوام ان الســنة اذا دارت على « قرد » فرحوا وصفقوا وقالوا سنتنا سنة خير ، لان القرد حيوان ضحوك .

واذا دارت على « كلب » اغتموا وقالوا : سيحصل في سنتنا حرب او قتال اهلي او شجار بين الناس لان الكلب في معتقدهم شرير .

واذا دارت على « الحوت » اعتقدوا انه سيحصل نقص عظيم في طعام سنتهم ، لان الحوت حيوان نهم لا يشبع ولانه ابتلع يونس النبي [عليه السلام].

واذا دارت على « الخنزير » حزنوا واعتقدوا انه سيصيبهم شؤم ويشق

(١) سيأتي في معتقد الناس (خضر الياس) والعرب الخضر الياس .

احدهم بطن الاخر .

واذا دارت على «الغار» أو «الدجاجة» قالوا سوف يتفشى الموت بين الناس.

واذا دارت على «الحية» او «ابن آوى» قالوا سنتنا سنة خير .

واذا دارت على «البقرة» فرحوا فرحا عظيما وبشر احدهم الاخر بالخير والنعم والاملاء ؛ لان البقرة [حلابة] وانها ستدر عليهم باخلاف البركات .

والاعتقاد بعدم كروية الارض غير مقصورة على العوام : بل هناك رجال ممن يعدهم الناس من العلماء الاعلام وهم يعتقدون عقيدة العوام نفسها فمن المعممين في بغداد « الملا نجم الدين » الواعظ في « الجامع النعماني » امام دائرة البريد في الرصافة والخطيب في « جامع حنان» في جانب الكرخ .

ناقشني ذات ليلة في بيت الحقوقي اللوذعي الصديق السيد محمد منير افندي القاضي وبمحضر منه واخذ يسرد لي حججه ليقنعني بعدم كروية الارض ؟! فجادلته وذكرت له المراصد التي شيدتها الدول الاسلامية في العصور المختلفة وذكرت له اسماء الرجال الذين اثبتوا كروية الارض منهم : العلامة ابو الحسين عبدالرحمن بن عمر الصوفي، والشريف ابو عبدالله محمد بن محمد الادريسي الشهير، وعلم الدين قيصر بن ابي القاسم بن عبدالغني الاسفوني المعروف بتعاسيف، والعلامة رضوان الفلكي ، وعلي بن عيسى الحراني ، ومحمد بن مؤيد الدين العرضي : حتى ان هؤلاء جميعهم صنعوا كرات ليمثلوا بها كرة الارض أو كرة الفلك . وقد حاولت أن اقنعه بالحجج العقلية والنقلية، إلا انه أبى واصر، وذهبت اقوالي ادراج الرياح ؛ ولما احتدم الجدال بيني وبينه جاءني من طريقة اخرى فاخذ يقرأ لي أحاديث موضوعة فحاربني بالحديث فسكت مضطرا لاني لم أشأ ان اقول له ان هذه الاحاديث موضوعة ومختلقة لئلا يرميني بالمروق والجحود والكفر والالحاد.

واذكر انني حضرت سنة ١٩٢٣ وعظ الملا مصطفى ، وهذا الملا مشهور بين البغداديين، وهو يعظ الناس في جامع « القيلانية » الواقع في «سوق السراي» وامام « سوق الهرج » المحاذي للمدرسة المستنصرية والبغداديون يتهافتون على سماع وعظه في شهر رمضان لانه يعظهم بلغتهم ويكثر من النكات الطريفة . وقد يشتم احيانا ، اذا احتدم وغضب ، إلا ان الرجل طيب القلب محب لبلاده يحرض الاهلين على الخير ، وقد قال ذات يوم وقد ورم انفه وعلا صوته غضبا

« والمصيبة ان بعض السرسرية — اي الاوباش — يعتقدون ان ارضنا هذه مدورة مثل البرتقالة وانها غير واقفة بل تمشي في الفضاء » ثم صفق بيده اسفا وقال : « لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم » وكان يسمع وعظه كثير من طلبة المدارس وجم من الشبان المتورين ولم يجرؤ احدهم على رده لئلا تنهال عليه النعال من العامة .

وفي عام ١٩١٩ ، كنت مديرا لمدرسة كربلا الاميرية وقد ارسل اشراف المدينة أبناءهم الى مدرستي واحدا اثر واحد وقد لاحظت ذات يوم في جدول تردد التلاميذ ان احد ابناء الوجهاء قد انقطع اربعة ايام متواليات فكتبت الى والده اسأله عن سبب انقطاع ابنه عن الدرس فجاءني الرجل في اليوم الثاني الى المدرسة فاستقبلته بما يليق بمقامه إلّا اني لمحت على سيمائه آثار الغضب فابتدرني قائلا بلهجة الحنق المغيظ : « انت يا ابن اخي من بيت فضل وعلم وقد كان جدك وابوك مثلين حسنين في العلم والادب فاستبعدت منك ان تلقن ابني امورا خارجة عن الشرع والعقل واشياء ما انزل الله بها من سلطان » فقلت له ـ وقد بهت ـ ما الخبر ياعم ؟ قال لي الخبر هو انني سألت ابني عن دروسه ، فقال : إني اقرأ « جغرافية » وان الارض كروية ، وانها تدور حول الشمس ، وانها معلقة في الهواء ، اي يا ابن اخي ، انت فتى فاضل ، وابن فاضل ، وسبط فاضل ، فما هذه العجائب الصادرة منك ؟

فقلت له : ياعم ، ان درس الجغرافية درس رسمي ولابد من تدريسه ؛ إلّا اني ارغب ان اسألك : هل انت معتقد بفضل العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وهل انت معترف بورعه وصحة نظره قال : اجل ! فاخرجت له من خزانتي كتاب « الهيئة والاسلام » للمشار اليه وقرأت له دلائله وبراهينه في كروية الارض المستندة الى الآي الكريم ، وقلت له : اذهب وحاج السيد المشار اليه ان كنت غير قانع ومصدق بما اقوله ، فودعني الرجل وانصرف مدهوشا متحيرا .

كيفية الاحتفال بهذا اليوم

تسمى الليلة التي تتقدم ليلة « دورة السنة » « المتلمسة » ، والنساء يزعمن

ان السنة العتيقة جاءت تتلمس الخبر ، وعليه يحتم على كل امرأة ان تكنس بيتها وتغسله وتنظفه وتبيض القدور والاواني عند « الصفار » وتضع في تلك الليلة تحت سلة الطعام « سبعة سينات » اي سبعة انواع من الاطعمة التي اول اسمها حرف (س) وهي :

١ـ السمك ويجب ان يكون غير مشوي .

٢ـ سمنو وهو طعام يعرفه الفراتيون .

٣ـ سيناغ اي اسباتخ .

٤ـ سمسم .

٥ـ سلك بالكاف الفارسية (اي سلق) .

٦ـ سويك « « اي (سويق) وهو شعير مهبش (اي مهروس في مهراس والكلمة عراقية) ومسهى اي (محمس) ومجروش يخلط بالدبس .

٧ـ سيلان اي دبس .

ويطبخون ايضا « زردة وحليب » والزردة هي الارز والدبس مطبوخان والحليب هو الثمن (الارز) والحليب المطبوخان .

وخبز « الركاك » اي الرقاق وهو خبز رقيق يفرش بالشويك ويشوى في التنور .

ويخبزون ايضا « كليجة » وهو خبز صغير ثخين مدور يكون فيه سمن وقد يطلى بالبيض المدوف فيه زعفران والكلمة عراقية فارسية الاصل .

ويسحنون السكر مع السمسم .

ويضعون شيئا من السكر والفاكهة والمخضرات ثم يضعون جميع هذه الاشياء في صينية ويضعون فيها على عدد اهل البيت اباريق وتنك صغيرة : للذكر ابريق وللانثى تنكة (التنك جمع تنكة وهو الكوز بلا بلبلة) ويوقدون على عدد اهل البيت الشموع في الصينية المذكورة وحول الطعام .

ومن عادة الكربلائيين وبعض الفراتيين اي العوام منهم ان يأكلوا بيضتين مسلوقتين من بيض الدجاج ليأمنوا رمد العين .

وفي الساعة التي تدور فيها السنة يجتمع اهل البيت حول الصينية على شكل

حلقة ويتجهون شطر القبلة وبايديهم دنانير أوسمسم أو ارز يديرونها من يدالى اخرى ويقولون: « اللهم يا محول الحول و الاحوال، ويا مقلب القلوب و الابصار حول حالنا الى احسن حال » .

ولا يجوز لاحد بتاتا ان يمد يده الى الصينية ليأكل مما هو موجود فيها قبل دورة السنة فاذا دارت اكلوا منها واهدى الجار الى جاره شيئا مما عليها اما الشموع الموقودة فتترك على حالها حتى تذوب من نفسها والنساء يتشاءمن كثيرا اذا انطفأت إحدى الشموع . وبعد ذلك يقصد احدهم الاخر في بيته ليهنئه بهذا العيد ! واذا دخل عليهم في صباح دورة السنة احد اسمه (محمد او محمود او أحمد او مصطفى) يفرحون ويبتهجون تيمنا بهذه الاسماء التي تسمى بها الرسول الاعظم (ص) . واذا دخل عليهم رجل اعور او امرأة عوراء شوهاء تشاءموا كثيرا .

وفي المدن التي فيها مزارات مثل كربلا والنجف والكاظمين وسامراء وغيرها يقصد الناس في دورة السنة ضريح المزارات ويقرأون سورا ويتلون ادعية ويجب ان لا يغرب عن البال ان هذه العادة جاء بها الفرس الى العراق .

سيزده بدر

كلمتان فارسيتان . ومعنى « سيزده » الثالث عشر و «بدر » في الباب ومحصلهما « اليوم الثالث عشر في الخارج » ويحتفل به كل الاحتفال العراقيون ويسميه البغداديون (كسلة) وهو اليوم الثالث عشر الذي يلي دورة السنة وفيه يخرج النساء والاطفال والفتية الى الارياض المحيطة بمدينتهم والى البساتين والجنات القريبة اليهم فيرمون في النهر او في البساتين «ابريقا او تنكة» قد اعشوشب ما حولها . وهذه التنكة يستحضرونها في اول يوم دورة السنة وكيفية استحضارها هي : انهم يأتون بقطعة من الكتان يملؤونها شعيرا ويشدونها على التنكة المملوءة ماء وبعد مدة ينبت العشب حولها فتحضر فيأخذ كل واحد منهم تنكة فيرميها كما اسلفنا والنساء يجلسن في البساتين ويأخذن حزمة من الحشيش النابت في البستان ويشددنه من غير ان يقلعنه ويقلن : « خذ الاصفر واعطنا الاخضر » .

احمد حامد الصراف